

العفو في الإسلام

نظرية مستنبطة من الآيات القرآنية

التي ورد فيها ذكر العفو

بقلم الأستاذ محمد مهدي علام

مدرس اللغة العربية بجامعة مانشستر

تمهيد:

وضعت نواة هذا البحث في بضع صفحات منذ ست سنوات في أحد كتبي^(١)، ولكنني كنت أشعر دائماً بأن للنظرية بقية يجب أن أترجمها من ذهني إلى القرائين وقد أتاحت لي جامعة مانشستر فرصة المحاضرة في هذا الموضوع للأهل العلم، فكتبت ما أعتقد أنه رأي الأخير في هذه النظرية التي ملكت على نفسي منذ عدة سنوات. ولكنني ما فرغت من تسطير النظرية بالإنجليزية حتى شعرت بأن في عنتي ديناً لقراء العربية عامة، ولقراء صحيفة دار العلوم، خاصة؛ فشرعت أكتبها بالعربية، وهأنذا أقدم بها لقراء العربية كما تقدمت بها لقراء الإنجليزية.

الغرض من العفو:

إن البحث في الغرض من العفو يدعونا للبحث في الغرض من العقوبة، وحسبنا أن نذكر هنا أن المشرعين قد ارتأوا في العقوبة آراء مختلفة يمكننا أن نرجعها إلى مذاهب أربعة:

(١) فلسفة العقوبة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢.

(١) العقوبة الانتقامية : ويرى دعايتها أن الجاني ينبغي أن ينال جزاء ما اقترفت يده .

(٢) العقوبة الرادعة : وينادى أصحابها بأن الغرض من العقوبة هو كف المجرم عن العود للإجرام .

(٣) العقوبة الواعظة : ويرى أشياعها أن غاية العقوبة وعظ الناس (الذين لم يجرموا بعد) حتى لا يقعوا في الإجرام .

(٤) العقوبة المصلحة : ويرى دعايتها أن العقوبة ليست إلا علاجاً للمجرم نعالجه به ليبراً من حالة نفسية شاذة هي ما يسمى عادة بالإجرام .

وأحدث ما وصل إليه علم الأخلاق هو الأخذ بذهب الإصلاح في العقوبة - بل بهذا المذهب أخذ بعض المشرعين حديثاً في بعض بلاد أوربا وأمريكا - وإذا كان الغرض من العقوبة هو إصلاح المذنب إصلاحاً نفسياً يعيده إلى المجتمع الذي يعيش فيه عضواً سليماً ، بل ولياً حمياً ، فكل وسيلة شريفة تحقق ذلك الغرض تكون عقوبة أو تحل محل العقوبة . والعفو - في بعض الأحوال - يحقق هذا الغرض ؛ لذلك كان العفو صورة من صور العقوبة .

غير أنه لا يعزب عن بالنا أن العفو علاج غير مأمون إلا في اليد الحازمة فله نفوس خاصة ، وذنوب خاصة ، وظروف خاصة ؛ وإذا أسئ استخداماً أو أسرف فيه كان جناية محققة . لهذا جاء الإسلام بالعقوبة والعفو جميعاً ، ولكنه لم يأمر بالعفو أمراً ، وإنما ندب إليه ندباً . مكن المعتدى عليه من الدفاع عن حقه ، ولكنه أوصاه بالسماحة والعفو بديلاً .

وقبل أن أدلى بما استنبطته في هذه النظرية أسوق الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العفو في القرآن ، فهي مادتي في الاستنتاج وعمادتي في البحث . (١)

(١) ولقد اقتصرنا هنا على الآيات النص في موضوعنا ، تاركاً عشرات من الآيات التي ذكر فيها العفو ذكراً عرضياً ؛ ولكن ما تركت لا يختلف في لفظه أو معناه عما أقتبست . وقد حرصت على أن أقتبس ثلاث الآيات التي يبدو للنظر الأولى أنها لا تسائر إحدى نواحي النظرية . ثم حاولت الملامة بينها وبين سائر الآيات ، (راجع الفقرة السادسة من النظرية) .

نص الآيات الكريمة

(١) « ثُمَّ عَفَرْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . » البقرة: ٥٢

(٢) « فَاعْبُدُوا ، وَاصْطَبِحُوا ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ . » البقرة: ١٠٩

(٣) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ : الْحَرُّ

بِالْحَرِّ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ؛ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ

شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاةٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ . ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ

رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ؛ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ

فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . »

البقرة: ١٧٨ - ١٧٩

(٤) « ... عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

وَعَفَا عَنْكُمْ . » البقرة: ١٨٧

(٥) « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ، وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ

أَخْرَجُوكُمْ ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ؛ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ؛ كَذَلِكَ جَزَاءُ

الْكَافِرِينَ . فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

لَا تَكُونُوا فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ، فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا

عَلَى الظَّالِمِينَ . الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَالْحُرُمَاتُ

قِصَاصٌ ؛ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى

عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ . « البقرة : ١٩٠ - ١٩٤ »

(٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ . « البقرة : ٢٣٥ »

(٧) وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّوْحَى ، وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . « البقرة : ٢٣٧ »

(٨) « اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ؛
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . « البقرة : ٢٨٤ »

(٩) « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .
آل عمران : ٨٩ »

(١٠) « إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ ، وَإِنْ تَصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَبْغُوا بِهَا ،
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ . « آل عمران : ١٢٠ »

(١١) « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ ؛ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . « آل عمران : ١٢٩ »

(١٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ : الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ
الغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ - وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ -
وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ؟ - وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ؛ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . » آل عمران :

١٣٣ - ١٣٦

(١٣) « وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ؛ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . » آل عمران : ١٥٢

(١٤) « وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . » آل عمران : ١٥٥

(١٥) « فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ؛ فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . »

آل عمران : ١٥٩

(١٦) « لَتَبْلُوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ، وَإِنْ

تَصْبِرُوا ، وَتَتَّقُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . » آل عمران : ١٨٦

(١٧) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وَصَابِرُوا ، وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . » آل عمران : ٢٠٠

(١٨) « إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا . » النساء : ٤٣

(١٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَعِظْهُمْ ، وَقُلْ

لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ

بِإِذْنِ اللَّهِ ؛ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ

لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا . » النساء : ٦٣ - ٦٤

(٢٠) « دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . » النساء : ٩٦

(٢١) « فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا . » النساء : ٩٩

(٢٢) « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ، أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

رَحِيمًا . » النساء : ١١٠

(٢٣) « إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا ، أَوْ تُخْشَوْهُ ، أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفُوًّا قَدِيرًا . » النساء : ١٤٩

(٢٤) « وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ - إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ - فَاعْفُ

عَنْهُمْ ، وَاصْفَحْ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . » المائدة : ١٣

(٢٥) « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ

تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَعْقُو عَنْ كَثِيرٍ . » المائدة : ١٥

(٢٦) « وَآتَى عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ : إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ

أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ

مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَكِنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ

إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ؛ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ

بِإِيمِي وَإِيمِكَ ، فَتَكُونَا مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ؛ وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالِمِينَ . » المائدة : ٢٧ - ٢٩

(٢٧) « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ . » المائدة : ٣٤

(٢٨) « فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ؛ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يُعَذِّبُ

مَنْ يَشَاءُ ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ؟ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . » المائدة : ٣٩ - ٤٠

(٢٩) « عَمَّا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ؛ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

ذُو انْتِقَامٍ . » المائدة : ٩٥

(٣٠) « اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » المائدة : ٩٨

(٣١) « وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ

رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ : أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابَ

مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَصْلَحَ ، فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » الأنعام : ٥٤

(٣٢) « فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ

الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . » الأنعام : ١٤٧

(٣٣) « إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . » الأنعام : ١٦٥

(٣٤) « أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلَا تُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ بِمَدِّ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا : إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ . » الأعراف : ٥٥ - ٦٥

(٣٥) « قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ،

فَسَأْ كُتُبَهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا

يُؤْمِنُونَ . » الأعراف : ١٥٦

(٣٦) « إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . » الأعراف : ١٦٧

(٣٧) « خُذِ الْعَقْوُ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . » الأعراف : ١٩٩

(٣٨) « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ

يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؛

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . » الأنفال : ٢٥ - ٢٩

(٣٩) « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ . » الأنفال : ٣٣

- (٤٠) « وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . » الأنفال : ٤٨
- (٤١) « إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . » الأنفال : ٥٢
- (٤٢) « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . » التوبة : ١٢٨
- (٤٣) « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ ؛ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا أَنْ يُضَاعِفُوا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ . وَإِنْ يَصْحَبُ الْمُؤْمِنُ نَفْسًا مُطْمَئِنِّينَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَاعِفُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . » هود : ١١٤ - ١١٥
- (٤٤) « وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ . » الرعد : ٦
- (٤٥) « وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ : جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ؛ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ . » الرعد : ٢٢ - ٢٤
- (٤٦) نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ . » الحجر : ٤٩ - ٥٠
- (٤٧) « فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ . » الحجر : ٨٥
- (٤٨) « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ . » الحجر : ٨٨
- (٤٩) « إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ ، وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ؛ وَيَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ ، وَالنُّسْكِ ، وَالْبَغْيِ ؛ يَمْطُكُمُ لَعْنُكُمْ تَذَكَّرُونَ . »

النحل : ٩٠

(٥٠) « اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ ؛ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُتَّبِدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ ، وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْسُكُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . » النحل : ١٢٥ - ١٢٨

(٥١) « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا ، فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . »

الأنعام : ٣٣

(٥٢) « وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ؛

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا . » الإسراء : ٥٣

(٥٣) « وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ : الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَالصَّابِرِينَ

عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ، وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . »

الحج : ٣٤ - ٣٥

(٥٤) « ذَلِكَ ، وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ، لِيَنْصُرْنَاهُ

اللَّهُ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ . » الحج : ٦٠

(٥٥) « اِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ . »

المؤمنون : ٩٦

(٥٦) « وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . » المؤمنون : ١١٨

(٥٧) « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . »

النور : ٥

(٥٨) « وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى

وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيَعْفُوا ، وَلْيَصْفَحُوا ؛

أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » النور : ٢٢

(٥٩) « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . » الفرقان : ٦٣

(٦٠) « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

حَسَنَاتٍ ؛ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . » الفرقان : ٧٠

(٦١) « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ

إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . » الشعراء :

٢١٥ - ٢١٧

(٦٢) « أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ، وَيُدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ

السَّيِّئَةِ ، وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ،

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ؛ لَا نَبْتَغِي

الْجَاهِلِينَ . » القصص : ٥٤ - ٥٥

(٦٣) « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَجْؤَنَّهِنَّ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ

صَبَرُوا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . » العنكبوت : ٥٨ - ٥٩

(٦٤) « فَاصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ؛ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ . »

الروم : ٦٠

(٦٥) « يَا بَنِي آدَمُ الصَّلَاةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ؛ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . » لقمان ١٧

(٦٦) « لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . » الأحزاب : ٢٤

(٦٧) « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ قُضْلًا كَبِيرًا . وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَدَعِ أَذَاهُمْ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ؛ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . » الأحزاب : ٤٥ - ٤٨

(٦٨) « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ . » سبأ : ٤ - ٥

(٦٩) « وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ . اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . » ص : ١٦ - ١٧

(٧٠) « قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ؛ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . » الزمر : ١٠

(٧١) « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . » الزمر : ٥٣ - ٥٤

(٧٢) « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ

التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطَّوْلِ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُهُ .

المصير . » غافر : ٢ - ٣

(٧٣) « فَأَصْبِرْ ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ . » غافر : ٥٥

(٧٤) « نَزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ،

وَعَمِلَ صَالِحًا ، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ

وَلَا السَّيِّئَةُ ؛ إِذْ قَعَّ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا

إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . » فصلت : ٣٢ - ٣٥

(٧٥) « إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ، وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ . » فصلت : ٤٣

(٧٦) « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ

مَا تَفْعَلُونَ . » الشورى : ٢٥

(٧٧) « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ

كَثِيرٍ . » الشورى : ٣٠

(٧٨) « أَوْ يُؤْخَذُ بِمَا كَسَبُوا ، وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ . » الشورى : ٣٤

(٧٩) « فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

وَأَبْقَى : لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

كِبَارَ الزَّلَّاتِ وَالْفَوَاحِشِ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ، وَالَّذِينَ

اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ . وَجَزَاءُ

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؛ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ . وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ .

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ ، وَغَفَرَ ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . « الشورى : ٣٦ - ٤٣ »

(٨٠) « فَاصْبِرْ لَهُمْ ، وَقُلْ سَلَامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . » الزخرف : ٨٩

(٨١) « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ . » الأحقاف : ٣٥

(٨٢) « فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَأَقَ ؛ فَمَا مِنْكُمْ بَعْدُ ، وَإِمَّا فِدَاءٌ ، حَتَّى تَصْعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . » محمد : ٤

(٨٣) « وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ؛ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . » الفتح : ١٤

(٨٤) « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ، وَأَقْسِطُوا ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . » الحجرات : ٩ - ١٠

(٨٥) « فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ . » ق : ٣٩

(٨٦) « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا . » الطور : ٤٨

(٨٧) « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّامَمَ ؛ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَةِ . » النجم : ٣١ - ٣٢

(٨٨) «... وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَرِضْوَانٌ ...»

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؛ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . « الحديد : ٢٠ - ٢١

(٨٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ
مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؛ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ . « الحديد : ٢٨

(٩٠) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ،
وَاتَّقُوا اللَّهَ ؛ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْجَلُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ ؛ وَمَنْ يوقِ شَحْنَفِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ
جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ . « الحشر : ٤ - ١٠

(٩١) « عسى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ؛
وَاللَّهُ قَدِيرٌ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ : أَنْ تَبَرُّوهُمْ ، وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ ؛ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَى

إِخْرَاجِكُمْ : أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ . « المتحنة : ١ - ٩ »

(٩٢) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ

فَاخْذَرُوهُمْ ؛ وَإِنْ تَعَفَّوْا ، وَتَصَفَّحُوا ، وَتَعَفَّرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ . » التَّغَابُن : ١٥ »

(٩٣) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ، إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُذِّبْتُمْ

تَعْمَلُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، عَسَى

رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُ ،

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا ،

وَاعْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . » التحريم : ٧ - ٨ »

(٩٤) « فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى

وَهُوَ مَكْظُومٌ . » القلم : ٤٨ »

(٩٥) « فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . » المارج : ٥ »

(٩٦) « وَقَالَ نُوحٌ : رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا .

إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا .

رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَلِوَالِدَيَّ ، وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ ،

وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا . » نوح : ٢٦ - ٢٨ »

(٩٧) « وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا . » الزمل : ١٠ »

(٩٨) « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ، وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ،

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ . ١٠٠

المدثر: ١ - ٧

(٩٩) «... هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ .» المدثر: ٥٦

(١٠٠) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ، وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آئِمًّا أَوْ كَفُورًا .

الإنسان: ٢٤

(١٠١) «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ

الودود: «البروج ١٢ - ١٤

(١٠٢) «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ

- فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ - يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ،

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، وَتَوَاصَوْا

بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .» البلد: ١١ - ١٨

(١٠٣) «وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنِفٍ خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .» العصر: ١ - ٣

(١٠٤) «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .»

النصر: ١ - ٣

تلك هي آيات العفو في الكتاب الكريم . وقد هداانا بحسبها إلى النقط

الآتية:

١ - أن العفو ليس أصلاً في المعاملة بين الناس ، لأنه قدر زائد على العدالة ،

بل هو ظلم بالفعل : ظلم المرء لنفسه بالتجاوز عن حقه ؛ وإنما نسمى هذا الظلم

(هـ صحيفة دار العلوم)

« عفواً ، لأنه اسم جميل ، لهذا الظلم النبيل . من أجل ذلك لم يفرضه الله تعالى ، بل رغب فيه ، وندب إليه بوسائل شتى . وآية ذلك أنه — عز شأنه — شرع العقوبة حتى يشعر المرء بأن حقوقه مصونة ، وفضلاً عن المواضع الخاصة بذكر العقوبة ، قد كرر القرآن مشروعاتها مع كثير من آيات العفو ليلقى الطمانينة في قلوب العباد على أن مصالحهم مرعية ، وليكون عفوهم إذ ذاك سماحة خالصة ، لا طاعة مزيفة . وحسبنا أن نذكر هنا بعض الآيات التي ورد فيها ذكر العقوبة مع العفو ، تارة قبله وتارة بعده . وتارة قبله وبعده جميعاً : « كتب عليكم القصاص في القتلى ... فمن عفى له من أخيه شيء ... » البقرة : ١٨٧ ؛ « عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ؛ والله عزيز ذو انتقام . » المائدة : ٩٥ ؛ « اعلوا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم . » المائدة : ٩٨ ؛ « فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين . » الأنعام : ١٤٧ ؛ « إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم . » الأنعام : ١٦٥ ؛ « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب . » الرعد : ٦ ؛ « نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم . » الحجر : ٤٩ — ٥٠ ؛ « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » النحل : ١٢٦ ؛ « غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول . » غافر : ٣ ؛ « ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، ... » والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ؛ إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ... ولمن صبر ، وغفر ، إن ذلك لمن عزم الأمور . » الشورى : ٣٧ — ٤٣ .

(وانظر كذلك - البقرة : ٢٨٤ ، آل عمران : ١٢٩ ، المائدة : ٣٩ - ٤٠ ، الأعراف : ١٥٦ ، الأنفال : ٢٥ - ٢٩ ، الحج : ٦٠ ، الأحزاب : ٢٤ ، سبا : ٤ - ٥ ، محمد : ٤ ، الفتح : ١٤ ، الحديد : ٢٠ - ٢١ ، الحشر : ٤ - ١٠ ، التحريم : ٧ - ٨ ، البروج : ١٢ - ١٤)

وبعد فمذه آيات صريحة في أن للعقوبة موضعها ، وللعفو موضعه ؛ وهى كذلك صريحة في أن كفة العفو أرجح . ولا شك أن هذا الطريق الوسط بين العقوبة والعفو أشكل بالحزم ، وأدعى إلى السلم والأمان ؛ فلو شرعت العقوبة

وحدها ملأت الإحسان القلوب، وتمكنت الحفاظ من الصدور؛ ولو شرع العفو وحده لسادت الفوضى، واستشرى المجرمون. بل لو شرع العفو وحده لكانت النفس أميل إلى الزهد فيه، والتبرم به؛ فليس في طبيعة الإنسان أن يتخلى عن جميع حقوقه، في جميع الأحوال.

٢ — ولننظر مرة أخرى في تلك الآيات، فسرى أن العبارات التي استخدمها القرآن الكريم في العفو مغرية به، حريصة على تقريبه إلى القلوب، بما يؤيد ماقلناه: من أن الشارع الحكيم يرغب فيه، أولاً؛ وثانياً، أنه يشعر بأنه ليس اتجاه طبعياً من المظلوم نحو ظالمه. فقد وصف الله تعالى نفسه بالعفو، ووصف به رسوله الكريم وطالبه به، ووصف به كذلك المقربين من عباده. فوضع بذلك مُثَلاً علياً أمام عباده يهتدون بها من غير إلزام:

(١) فمن الآيات التي وصف بها الله تعالى نفسه بالعفو قوله جل وعلا:

«ثم عفونا عنكم من بعد ذلك، لعلكم تشكرون». البقرة: ٥٢؛ «ومن يغفر الذنوب إلا الله؟»، آل عمران: ١٣٥؛ «ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين»، آل عمران: ١٥٢؛ «ولقد عفا الله عنهم، إن الله غفور حلیم»، آل عمران: ١٥٥؛ «درجات منه ومغفرة ورحمة»، وكان الله غفوراً رحيماً، النساء: ٩٦؛ «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»، النساء: ١١٠؛ «كتب ربكم على نفسه الرحمة: أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده، وأصلح، فأنه غفور رحيم»، الأنعام: ٥٤؛ «ورحمتي وسعت كل شيء»، الأعراف: ١٥٦؛ «وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات»، الشورى: ٢٥.

(وانظر كذلك - البقرة: ١٩٢، ٢٣٥؛ آل عمران: ٨٩، النساء: ٤٣، ٦٤، ٩٩، ١٤٩؛ المائدة: ٣٤، ٣٩؛ الأنفال: ٢٩، ٣٣؛ المؤمنون: ١١٨؛ النور: ٥؛ الزمر: ٥٣؛ الحديد: ٢٨؛ وانظر «بسم الله الرحمن الرحيم» في بدء كل سورة عدا سورة التوبة.)

(ب) وبما وصف به رسوله — عليه الصلاة والسلام — أو أمره به، قوله عز شأنه: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً، غليظ القلب، لانفضوا من حولك؛ فاعف عنهم، واستغفر لهم»، آل عمران: ١٥٩؛ «ولا تزال

تطلع على خاتمة منهم — إلا قليلا منهم — فاعف عنهم ، واصفح ، المائدة : ١٣ ؛
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ،
ويعفو عن كثير . المائدة : ١٥ ؛ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه
ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم . » التوبة : ١٢٨ ؛ « واخفض
جناحك للمؤمنين . » الحجر : ٨٨ ؛ « ادفع بالتي هي أحسن السيئة . » المؤمنون :
٩٦ ؛ « فاصبر صبرا جميلا . » المعارج : ٥

(وانظر كذلك - الأعراف : ١٩٩ ؛ هود : ١١٤ - ١١٥ ؛ الحجر : ٨٥ ؛ الشعراء : ٢١٥ - ٢١٧ ؛
الروم : ٦٠ ؛ الأحزاب : ٤٥ - ٤٨ ؛ ص : ١٧ ؛ غافر : ٥٥ ؛ الزخرف : ٨٩ ؛ الأحقاف : ٣٥ ؛
ق : ٣٩ ؛ الطور : ٤٨ ؛ القلم : ٤٨ ؛ الزمل : ١٠ ؛ المدثر : ٧ ، ٥ ؛ الإنسان : ٢٤ ؛
النصر : ١ - ٣)

(ح) وما وصف به الله تعالى المقربين من عباده ، مقيما منهم مثلا أعلى في
العفو والتسامح ، قوله تبارك وتعالى :

« والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ويدرمون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم
عقبى الدار : جنات عدن يدخلونها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب :
سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . » الرعد : ٢٢ - ٢٤ ؛
« وبشر المحبتين : الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على
ما أصابهم . » الحج : ٣٤ - ٣٥ ؛ « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . » الفرقان : ٦٣ ؛ « ولا تستوى
الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم . وما يلقاها^(١) إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . »
فصلت : ٣٣ - ٣٥

(وانظر كذلك - آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٨٦ ؛ القصص : ٥٤ - ٥٥ ؛ العنكبوت :
٥٨ - ٥٩ ؛ الشورى : ٣٦ - ٣٧ ، ٤٣ ؛ البقرة : ١ - ٣)

هذه مُثُلٌ علياً ثلاثة تنير السبيل لمن شاء أن يتشبه بأخلاق الله ، فإن أعجزه
ذلك ، تمثل بأخلاق الرسول ، فإن عز عليه هذا جاهد أن يكون مع طبقة من

(١) الضمير في « يلقاها » عائد على تلك السجية المفهومة من سياق الآية ، وهى
مقابلة الإساءة بالإحسان ؛ وهى منزلة الخاصة من المؤمنين .

الناس ، إن كانت خاصة فإنها على ذلك بشر مثلنا ، لا نشعر بيننا وبينهم بتلك الفوارق التي نشعر بها بيننا وبين الذات العلية ، أو بيننا وبين مقام الرسول الكريم . فلحكمة بليغة وضعت أمامنا هذه المثل العليا ، ولحكمة بليغة كانت على هذا التدرج .

٣ — ولو علم الله أن النفس البشرية تميل بطبيعتها إلى العفو لأمر به أمراً ؛ ولكنه — جل ثناؤه — يعلم أن في الطبيعة البشرية ألا تاتمر أولاً ، وألا تاتمر بما تشعر بأن فيه تجاوزاً عن حقها ثانياً . لذلك لم يأت العفو بصيغة الأمر إلا قليلاً ، تحاشياً لإثارة روح العناد الخبيثة في نفوس البشر ؛ وإنما جاء في أروع ما تنطق به الأساليب المرغبة النادرة :

« وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم . » البقرة : ٢٣٧ ؛
« إن تمسكم حسنة تسوؤم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا ، وتتقوا ، لا يضركم كيدهم شيئاً . » آل عمران : ١٢٠ ؛ « سارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين : الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ؛ والله يحب المحسنين . »
آل عمران : ١٣٣ — ١٣٤ ؛ « وإن تصبروا ، وتتقوا ، فإن ذلك من عزم الأمور . » آل عمران : ١٨٦ ؛ « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار : جنات عدن يدخلونها سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار . » الرعد : ٢٢ — ٢٤ ؛ « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » النحل : ١٢٦ ؛ « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرون بالحسنة السيئة ، ... وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » القصص : ٥٤ — ٥٥ ؛ « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . » الزمر : ١٠ ؛ « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون . » الشورى : ٣٦ — ٣٧ ؛
« والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غيلاً للذين آمنوا . » الحشر : ١٠ .

(وانظر كذلك - الحج : ٣٤ - ٣٥ ؛ الفرقان : ٦٣ ؛ النكبات : ٥٨ - ٥٩ ؛ الثوري : ٤٠ ،
٤٣ ؛ المتجة : ٧ ؛ التغابن : ١٤ ؛ البلد : ١٧ - ١٨ .)

٤ - وإذا درسنا الآيات التي جاء فيها العفو بصيغة الأمر ألفيناها جميعها
- إلا ثلاث آيات (البقرة : ١٠٩ ؛ وآل عمران : ٢٠٠ ؛ والنحل : ٩٠) -
مشتركة في هذه الصفة : وهي أنها ليست خطاباً مباشراً لدهماء الناس الذين
يغلب أن يثور في نفوسهم روح المعارضة والعناد ، إذا أمروا بالتجاوز عن حقهم
في القصاص ، فيعميهم ذلك عن إدراك حكمة العفو البالغة ، بل كان الأمر فيها
موجهاً لمن طهرت نفوسهم من خبث التعصب للنفس والعناد . أعني للرسول
الكريم ، أو لصديقه الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، أو لفئة - غير معينة -
من المقربين من عباد الله تعالى .

ولا بد أن نشير إلى أن هذه الطائفة تركت غير معينة إطلاءاً لكل امرئ أن
يكون من بينها .

(١) فمن الآيات التي ورد فيها الأمر بالعفو موجهة للرسول الكريم
قوله تعالى :

« فاعف عنهم ، واستغفر لهم . » آل عمران : ١٥٩ ؛ « فاعف عنهم ،
واصفح . » المائدة : ١٣ ؛ « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين . »
الأعراف : ١٩٩ ؛ « فاصفح الصفح الجميل . » الحجر : ٨٥ ؛ « واخفض جناحك
للمؤمنين . » الحجر : ٨٨ ؛ « ادفع بالتي هي أحسن السيئة . » المؤمنون : ٩٦ ؛
« فاصفح عنهم وقل سلام . » الزخرف : ٨٩ ؛ « فاصبر كما صبر أولو العزم من
الرسل . » الأحقاف : ٣٥ ؛ « فاصبر صبراً جميلاً . » المعارج : ٥ ؛ « واصبر على
ما يقولون ، واحجرهم حجراً جميلاً . » المزمل : ١٠ .

(وانظر كذلك - النساء : ٦٣ ؛ هود : ١١٤ - ١١٥ ؛ النحل : ١٢٧ ؛ الشعراء : ٢١٥ - ٢١٧ ؛
الروم : ٦٠ ؛ الأحزاب : ٤٥ - ٤٨ ؛ ص : ١٧ ؛ غافر : ٥٥ ؛ ق : ٣٩ ؛ القلم : ٤٨ ؛ المدثر :
١ - ٧ ؛ الإنسان : ٢٤ ؛ النصر : ١ - ٣)

(ب) وهذه آية أبي بكر تحمل في سياقها وعلاقتها دليل ما استنبطنا ، من أن
الأمر بالعفو جاء إلى النفوس الكريمة التي لا ترفض طاعته ؛ فقد كان لأبي بكر

قريب فقير يسمى مسطح بن أثاثه يجري عليه أبو بكر رزقا، ولما ذاع حديث الإفك عن عائشة أم المؤمنين بكت أبي بكر، كان مسطح ممن خاضوا فيه، قال أبو بكر ألا ينفق على مسطح بعد ذلك، فنزل قوله تعالى: «ولا يأنل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى، والمساكين، والمهاجرين في سبيل الله؛ وليعفوا، وليصفحوا. ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم». النور: ٢٢؛ فلما سمع أبو بكر الآية قال: «بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي». فرجع إلى مسطح ما كان يجري عليه (١).

(ح) وهذه آية جاء فيها الأمر بالعفو لخاصة المؤمنين الذين وصفهم الله بأنهم ذوو حظ عظيم: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله، وعمل صالحا، وقال إني من المسلمين؟ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم». فصلا: ٣٢ - ٣٥.

هـ - ولنرجع مرة أخرى إلى هذه الآيات التي ورد فيها العفو بصيغة الأمر، فنسجد أن صيغ الأمر يسبقها أو يلحقها في كثير من الآيات عبارات ملطفة للأمر، مخففة من وقعه على النفس، محرضة على طاعته، معوضة عما يتجاوز عنه العافي من حقه. ومن أهم ما نلاحظه كذلك في هذه الآيات أن هذه العبارات الملطفة المعوضة، التي تصحب الأمر، تتناسب كثرة وقلة مع حال المخاطب قربا من الله تعالى. ففي آية خاصة المؤمنين نجد أوفى قسط تحتمله العبارة من تخفيف وقع الأمر، فقد وضع الله تعالى المخاطبين في أحسن درجة لعملهم الصالح في عدم التسوية بين الحسنة والسيئة، ودفعهم بالتي هي أحسن واستبداهم بالعدو وليا حميا، وتخصيصهم بمرتبة الصابرين، ذوى الحظ العظيم. فإذا بقي بعد هذا من جفوة الأمر بالتخلي عن حق في نظير هذه النعم الجليلة؟ على أن إنعام النظر في معنى هذه الآية لا يجعلها، في الحقيقة، أمرا بالعفو في جميع الأحوال

(١) تفصيل حديث الإفك في كتب الأحاديث وفي كل تفسير مطول عند شرح هذه الآية.

فآية صريحة في أن يدفع المرء السيئة بالتى هي أحسن . والذى هو أحسن - في حالة من الحالات - ربما لا يكون هو الأحسن في حالة أخرى . ولقد يكون دفع الشر أحسن بالعفو مرة ، وبالعقوبة أخرى .^(١)

وفي آية أبى بكر نجد قدراً أقل من هذا لتلطيف الأمر على نفس لا شك أنها أقرب إلى قبوله ، ففي الآية عبارتان ملطفتان : « لا تحبون أن يغفر الله لكم » والله غفور رحيم .

أما الرسول ، ونفسه أطهر النفوس البشرية وأبرؤها من العناد ، فالأمر بالعفو إذ يوجه إليه لا يشتمل إلا على حد أدنى من عبارات التلطيف . فقد أمر بالعفو في أربع وعشرين آية ، صحب الأمر في ثلاث عشرة منها تلطيف ، وجاء الباقي مجرداً . فمن القسم الأول : « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك ، فاعف عنهم . » آل عمران : ١٥٩ ؛ « واصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . » هود : ١٠٥ ؛ « واصبر ، وما صبرك إلا بالله ، النحل : ١٢٧ ؛ « اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . » ص : ١٧ ؛ « واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا ، الطور : ٤٨

(وانظر كذلك المائدة : ١٣ ؛ الشعراء : ٢١٥ - ٢١٧ ؛ الروم : ٦٠ ؛ الأحزاب : ٤٨ ؛ غافر :

٥٥ ؛ الأحقاف : ٣٥ ؛ القلم : ٤٨ ؛ النصر : ١ - ٣ .)

ومن القسم الثانى : « خذ العفو ، وأمر بالمعروف ، وأعرض عن الجاهلين . » الأعراف : ١٩٩ ؛ « واخفض جناحك للمؤمنين . » الحجر : ٨٨ ؛ « ادفع بالتى هي أحسن . » المؤمنون : ٩٦ ؛ « فاصفح عنهم ، وقل سلام . » الزخرف : ٨٩ ؛ « والرجز فاهجر ... ولربك فاصبر . » المدثر : ٥ - ٧

(وانظر كذلك - النساء : ٦٣ ؛ الحجر : ٨٥ ؛ ق : ٣٩ ؛ المارج : ٥ ؛ المزمل : ١٠ ؛

الانسان : ٢٤)

وبعد ، أفليس في وفرة هذا العدد في أمر الرسول وقلته بل ندرته في أمر

(١) وما قلناه هنا ينطبق كذلك على دفع السيئة بالحسنة أو بالتى هي أحسن في :

الرعد : ٢٢ - ٢٤ ؛ والإسراء : ٥٣ ؛ والمؤمنون : ٩٦

غيره ما يؤيد ما قلناه تأييداً جديداً ، من أن الله لم يشأ أن يجعل الأصل في الأخذ بأسباب العفو أمراً مفروضاً ؟

٦ - بقي أن ننظر في الآيات الثلاث التي أشرنا إلى استثنائها في النقطة الرابعة ، أعني تلك الآيات التي ورد فيها الصفع بصيغة الأمر في خطاب الأمة وهي قوله تعالى : « فاعفوا ، واصفحوا ، حتى يأتي الله بأمره » ، البقرة : ١٠٩ ؛ « يا أيها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله ، لعلكم تفلحون » ، آل عمران : ٢٠٠ ؛ « إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ؛ وينهى عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى ؛ يعظكم لعلكم تذكرون » ، النحل : ٩٠ . ونريد أن نقرر هنا أولاً أن آية واحدة منها (آية البقرة) هي التي ذكر فيها العفو بلفظه الصريح ، بل بمرادفه الفصيح . أما الآيتان الأخريان ، ففي إحداهما أمر بالصبر بصفة عامة ، مما يشمل العفو وغيره ، فقد يكون الصبر على مكاره لا مجال للعفو فيها ^(١) ، وفي الأخرى أمر عام كذلك بالإحسان إلى جانب الأمر بالعدل . ونحن نرى أن ورود الأمر في هذه الصورة العامة - لا في صورة خاصة بالأمر بالعفو عن مسمى ، كما ورد ذكر العفو في الآيات الأخرى - أبعد عن إثارة النفس للعناد ومقاومة الأمر . لأن النفس لا تذكر إذ ذاك إساءة وقعت عليها تشعر بشهوة الانتقام لها ، كما كان يحدث مثلاً لو جاءت آية النحل : ١٢٦ على الصورة الآتية : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ، لكن اصبروا فهو خير للصابرين !

ولقد تغرينا وجاهة هذا التعليل بحمل آية « البقرة » عليه . ولكن صراحة ألفاظها - على الرغم من غياب ذكر الإساءة أو العقوبة فيها - تدعونا إلى تلمس تعليل آخر . ويخيل إلى أنه قصد بهذه الآية أن ترد هكذا فريضة ، لتنبيه الناس إلى

(١) يلاحظ أن استعمال « الصبر » في هذه الآية ليس صريحاً في معنى « العفو » ، صراحة استعماله في عشرات الآيات الأخرى التي يذكر فيها الصبر بمناسبة العقوبة ، واحتمال أذى المعتدين الخ .

شدة العناية بالعفو والاعذار به ، حتى لا تكون جميع آيات القرآن خالية من صيغة الأمر ، موجهة إلى جمهور الأمة . فإذا قرنت هذه الآية بغيرها من آيات العفو ، استخرج الناس من المجموع المرمى السامى الذى رعى إليه الشارع : من أن العفو مرغوب فيه ، وإن لم يكن مأموراً به .

على أن لنا في هذه الآيات الثلاث تأويلاً آخر قدسسه في التعبير البلاغى ، لا في التعليل الفلسفى . فالأمر كثيراً ما يأتى لغير الإلزام ، فى القرآن وغير القرآن من كلام العرب . فلا مانع من أن تكون قد وردت للنصح والإرشاد ، أو للندب ، أو للإباحة ، أو للتخيير ؛ على مثال الأمر فى قوله تعالى : « فكاذبوهم إن علمتم فيهم خيراً . » وقوله : « فإذا حللتم فاصطادوا . » وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، » وقوله : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . »

٧ - وهذه ظاهرة أخرى تمتاز بها آيات العفو امتيازاً يزيد نظريتنا تأييداً ، من أن الشارع الحكيم كان عليماً بأن العفو قدر زائد على العدالة ، أو كما سميناه « ظلم نبيل » ، لا تميل إليه النفس ميلاً طبيعياً . فنحن نرى أن القرآن إذا عرض للعفو ذكره فى عبارات مطبقة مؤكدة : بالترادف ، أو المفعول المطلق ، أو لام التوكيد ، أو النعت ، أو التذييل . ونحو ذلك . وسبيل التأكيد فى الكلام لا تسلك إلا لحكمة بلاغية ، وهى هنا علم المشرع بأن السامع يغلب إلا يلتقى هواه مع موضوع الكلام ، ورغبته - رغبة المشرع - فى زيادة التنبيه على الصفح ، وتحسينه ، والندب إليه ، ليشر ذلك التأكيد فى نفوس الناس الذين قد يسمو على بعضهم ويعز هذا الظلم النبيل .

« قاتب عليكم ، وعفاعتكم . » البقرة : ١٨٧ ؛ « وأن تعفوا أقرب للتقوى . » ولا تنسوا الفضل بينكم . » البقرة : ٢٢٧ ؛ « والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس . » آل عمران : ١٣٤ ؛ « فاعف عنهم ، واصفح . » المائدة : ١٣ ؛ « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين . » الأعراف : ١٩٩ ؛ « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ... ويدرون بالحسنة السيئة ... سلام عليكم بما

صبرتم، الرعد : ٢٢ - ٢٤ ؛ فاصفح الصفح الجميل، الحجر : ٨٥ ؛ وليعفوا،
وليصفحوا، النور : ٢٢ ؛ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ... فمن عفا، وأصلح...
ولمن صبر، وغفر ... الشورى : ٣٧ - ٤٣ ؛ فاصبر كما صبر أولو العزم،
الاحقاف : ٣٥ ؛ وإن تعفوا، وتصفحوا، وتغفروا، التغابن : ١٤ ؛ فاصبر
صبراً جميلاً، المعارج : ٥ ؛ واصبر على ما يقولون، وأجرهم هجراً جميلاً،
المزمل : ١٠

(وانظر كذلك : أربعة وأربعين آية أخرى لا يحتاج البحث عن التوكيد فيها إلى كبير مجهود.) (١)

٨ - ومن الوسائل التي رغب بها القرآن في العفو وزهد في العقوبة، أنه
كثيراً ما يصحبهما أو أحدهما بتحذير من العدوان والبغى، وندب إلى الحيطة
والتقية : كأنه ينادى بأن في استيفاء العقوبة عدواناً، أو إشرافاً على العدوان ؛
ولخير للمرء أن يتجاوز عن بعض حقه، من أن يعتدى على حق غيره . ألم يشرح
لنا النبي الكريم هذا التحذير في أبلغ ما وصل إليه الإيجاز إذ يقول، عليه الصلاة
والسلام : « من استقصى في حقه لم يترك للشر مأرباً، ؟ (٢) » وإلا فبأي تعليل
آخر تدبّر سر هذا التحذير الذي يلاحق ذكر العقوبة والعفو في المواضع الآتية ؟
« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله، واعلموا
أن الله مع المتقين . » البقرة : ١٩٤ ؛ « وأن تعفوا أقرب للتقوى » البقرة : ٢٣٧ ؛
« وإن تصبروا، وتتقوا، آل عمران : ١٢٠ ؛ « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ... »
إن الله مع الذين اتقوا، النحل : ١٢٦ - ١٢٨ ؛ « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا

(١) ويخيل إلينا أن الله تعالى قد حرر آيات العفو - معظمها - من صيغة الأمر،
ثم استبدل بتلك الصيغة المثيرة للنفوس في مثل هذه الحالة، أسلوباً آخر هو التوكيد
الذي أشرنا إليه، فكان ما فقدته الآيات - إن كان قد فقدته - من قوة الأمر، قد
كسبته من قوة التوكيد .

(٢) وكأني بالجاحظ قد ألم بهذا الحديث إذ قال : « ومن رضى ألا يكون بين
حاله وحال الظالم إلا ستر رقيق، وحجاب ضعيف، لم يحزم في تفضيل الحلم، وفي
الاستيثاق من ترك دواعي الظلم . »

لوليه سلطانا ، فلا يسرف في القتل ، الإسراء : ٣٣ : ... وإذا ما غضبوا هم يغفرون ... والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله ؛ إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ... ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور . الشورى : ٣٧ - ٤٣ .

وتجلى وجهة التحذير في صورة أقوى في آية الحج : ٦٠ إذ يكون المظلوم قد انتصف لنفسه ثم بغى عليه ؛ فهنا لا نراه قد ذكر له حقه في الانتصاف ثانية ذكر أصريحا ، بل نجد على خلاف ذلك أنه موصى توصية قوية بالعفو عن الانتصاف الثاني : ذلك ، ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بغى عليه لينصرته الله ؛ إن الله لعفو غفور . وتبدو لنا الحكمة في ذلك إذا أدركنا أن الانتصاف بعد الاعتداء الثاني يغلب ألا يكون قصاصا عادلا ، كما يمكن أن يكون الانتصاف الأول . فشهوة المظلوم للانتقام في هذه المرة أجنح إلى الثورة ، وأدنى إلى الجرح . ولعله أن يصبح هو معتديا ، فصانه الله تعالى بتوصيته بالعفو ، وتحذيره من القصاص .

(وانظر كذلك البقرة : ١٩٠ آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٠)

٩ - وهذه سبيل أخرى سلكها القرآن في بيان جمال العفو ، وتوجيهه إلى القلوب ، وتيسير احتماله على النفوس . فكثيرا ما يذكر القرآن العفو مصحوبا بصفات أخرى يدعو إليها الدين جميعا ، وفي ذلك تلطيف وتخفيف من شعور المرء بتخليه عن حقه . وأهم ما يبدو لي أن القرآن الكريم قد جمعه والعفو في طائفة : السماحة في التعامل بأوسع معانيها ، فهي بذلك تشمل العفو ؛ فإذا قبلنا السماحة في أصلها ، أو في فرع من فروعها ، كان من المرجح ألا ننكش من قبولها في فرع آخر هو العفو . بهذا وحده أستطيع أن أعلل الجمع بين العفو والتفضل ، وبين العفو والائتفاق في السراء والضراء ، وبين العفو والإحسان ، وبين العفو والائتفاق سرا وعلانية ، وبين العفو والعمل الصالح ، وبين العفو والتشاور في الأمور دون الاستبداد بالرأى الخ في قوله تعالى :

«الذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين». آل عمران: ١٣٤؛ «والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية، ويدرمون بالحسنة السيئة». الرعد: ٢٢؛ «إن الله يأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذى القربى». النحل: ٩٠؛ «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن... ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله... إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون». النحل: ١٢٥ - ١٢٨؛ «والصابرين على ما أصابهم، والمقيمي الصلاة، وما رزقناهم ينفقون». الحج: ٣٥؛ «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله؛ وليعفوا، وليصفحوا». النور: ٢٢؛ «أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا، ويدرمون بالحسنة السيئة، وما رزقناهم ينفقون، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم، لا نبتغى الجاهلين». القصص: ٥٤ - ٥٥؛ «ومن أحسن قولاً لمن دعا إلى الله، وعمل صالحاً... ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هى أحسن...». فصلت: ٣٣ - ٣٤؛ «والذين يحتنبون كباثر الأثم والفواحش، وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، وما رزقناهم ينفقون...». الشورى: ٣٦ - ٤٣؛ «والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم... ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، والذين جاءوا من بعدهم يقولون... ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا...». الحشر: ٤ - ١٠؛ «فك رقبة، أو إطعام - فى يوم ذى مسغبة - يتيماً ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة». البلد: ١٣ - ١٧؛ «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر».

على أن بعض الآيات التى صحبت السماحة فيها العفو تستأهل منا كلمة خاصة:
(١) فى آيتى آل عمران: ١٥٩؛ والنصر: ١ - ٣ نرى درجة من السماحة

معدومة النظير ، وقد اختص بها الله تعالى رسوله ، حين طالبه بالعفو عن خصومه ، وبالاستغفار وطلب الرحمة من الله لهم : « فاعف عنهم واستغفر لهم » . ولعل التاريخ لا يحوى بين طياته سماحة كتلك التي صفع بها النبي الكريم يوم فتح مكة ، سماحة المنتصر الذي لم يعرف الغل قلبه ، ولم تجد الحفيظة سبيلها إلى صدره ، مطيعة أمربه : « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا » . (١)

(ب) وجدیربنا أن نلاحظ أن هذه السماحة لا تقتصر على معاملة المسلمين بعضهم مع بعض ، بل تمتد إلى معاملاتهم مع غير المسلمين ، وهي ميزة للإسلام في تعاليمه وفي تاريخه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم : أن تبروهم وتقسطوا إليهم » . الممتحنة : ٨

(ج) غير أن هذه السماحة التي دعينا إليها ونحن نتعامل في حقوقنا ، ونقضي في شئوتنا ، قد استبدل بها أمر آخر هو الإقساط والإنصاف إذا كنا بصدد الفصل بين فريقين لا مصلحة لنا معهما . عندئذ لا يجوز لنا أن نسخر بحقوق غيرنا . ولهذا قرن العدل بالإقساط في آية الصلح بين الطائفتين المقتلتين : « وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا

بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » . الحجرات : ٩ - ١٠ (٢) ؛ على حين قرن العدل بالإحسان في آية النحل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . وقرن التواصي بالحق بالتواصي بالصبر في آية العصر : « إلا الذين آمنوا وعملوا

(١) قارن هذا بما سياتي ذكره في رقم ١١
(٢) اعلم في غنى عن التنبيه على أن هذه الآية قد رسمت منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا خطة عملية لما يسمى اليوم « عصبة الأمم » ، ونظام العقوبات الدولية .

الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر . . (١)
 ١٠ - ومن أروع ما استعمله القرآن للتزهد في العقوبة والترغيب في العفو
 أسلوب المشاكلة . وهو ضرب آخر من التحذير من الأخذ بالعقوبة ،
 والارتياح إلى القصاص . ويان ذلك أن المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره
 لوقوعه في صحته . . (٢) والآخر النفسى الذى تحدثه المشاكلة في نفس السامع هو
 إيقاظها إلى التشاكل والتشابه الذى بين الأمرين اللذين عبر عنهما بلفظ واحد
 - مع أنهما في الحقيقة مختلفان . ليتأثر السامع بذلك التشاكل في اتجاهه
 نحوهما . فمرة يسوى القرآن بين العقوبة والاعتداء بتسميتهما جميعاً عقوبة ،
 مع أن الاعتداء ليس في الحقيقة عقوبة : وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم
 به ، النحل : ١٢٦ ، ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به الحج : ٦٠

(١) وكما جاء القرآن داعياً إلى السماحة والعفو فيما يتعلق بحقوق الشخصى ، نادياً
 إلى الإيصال والإعساض فيما يتصل بحقوق غيرك ، كذلك جاء الحديث الشريف مسأيراً
 لهذه السياسة الحكيمه ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . . ولولا أننا
 قصرنا نظريتنا على العفو الإسلامى كما عبر عنه القرآن ، لسقنا عشرات الأحاديث ،
 وحسبنا هنا أن نذكر فى تأييد ناحية السماحة والعفو قوله عليه الصلاة والسلام : « ألا
 أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى . قال : من أكل وحده ، ومنع رفقده ، وضرب عبده ؛
 ألا أخبركم بشر من ذلكم ؟ من لا يقبل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً ؛ ألا
 أخبركم بشر من ذلكم ؟ من يبغض الناس ويبغضونه . » وقوله : « أرحم من فى الأرض
 يرحمك من فى السماء . » وقوله : « من شدد شدد عليه . » بل نرى ذلك فى أصرح العبارات
 فيما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 الإيمان فقال : الصبر والسماحة . » وأن نذكر فى تأييد ناحية الإيصال
 والإعساض قوله عليه الصلاة والسلام : « زين الله السماء بثلاث : بالشمس ، والقمر ،
 والكواكب ؛ وزين الله الأرض بثلاث : العلماء ، والمطر ، وسنطان عادل . » وقوله
 عن ابن سعيد الخدرى : « أحب البعاد إلى الله تعالى ، وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة
 إمام عادل . » وقوله ، عن ابن عباس : « الذى نفسى بيده إن الامام العادل ليرفع
 له فى كل يوم مثل عمل رعيته »

(٢) انظر شروح التلخيص الجزء الرابع ص ٣٠٩ - ٣١٥ مطبعة السعادة سنة ١٣٤٣ .

— وأخرى يسوى بينهما بتسميتهما جميعاً عدواناً أو إساءة ، مع أن العقوبة ليست في الحقيقة عدواناً ولا إساءة : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدى عليكم » البقرة : ١٩٤ ؛ « وجزاء سيئة سيئة مثلها » الشورى : ٤٠

وتارة يحيد عن استعمال اللفظين الخاصين بالذنب والعقوبة ليمنحهما جميعاً اسماً واحداً عاماً : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً

فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً ، فلا يسرف في القتل » ، الإسراء : ٣٣ ، وبما يمكن

إلحاقه بالمشاكل هنا ذلك السمو في الإيحاء بقسمة الجاني والمجنى عليه أخوين :

« فمن عَفِيَ له من أخيه شيء ، وأشهد أن ليس بعد هذا إيحاء بالموادة تحل

حل العداوة ، والصفاء يقوم مقام الجفاء .

١١ — بقي علينا أن ننظر في ثلاث آيات ذكر فيها العفو محكياً على لسان

شخصيات سابقة للقرآن . ولقد سيقّت هذه الآيات مساق العبرة والوعظ ،

ولكنها — على ذلك — تلقى شعاعاً من الضياء على الفرق بين فكرة العفو في الإسلام

وفكرة العفو قبل الإسلام . ففي وصية لقمان لابنه يأمره بالعفو على خلاف

سياسة القرآن العامة في عدم الأمر بالعفو :

« يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ،

إن ذلك من عزم الأمور » ، لقمان : ١٧ ؛ على أن الآية — فيما عدا هذا — تحمل

شبهاً كبيراً بآيات العفو الإسلامي : ففيها العفو مقرون بتعاليم أخرى ، وهي

مذيلة بجزاء العفو وأنه من عزم الأمور .

أما الآيتان الأخريان فهما اللتان تعنياننا هنا عناية خاصة ؛ ففيهما ظاهرة

لا وجود لها في آيات العفو الإسلامي : فآية المائدة : ٢٧ - ٢٩ المحكية على لسان

قاييل وهابيل ، لا تصحب العفو فيها تلك السماحة الإسلامية التي لا تجعل العفو

صورة من صور التعالي والكبرياء ، بل وسيلة من وسائل الإبقاء على الود

وابتغاء الأولياء : « وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق : إذ قربا قربانا فتقبل من

أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لاقتلنك ! قال إنما يتقبل الله من المتقين

لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بإسـط يدى إليك لاقتلك ؛ إنى أخاف الله

رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتكون من أصحاب النار ؛ وذلك جزاء الظالمين . ، فاتين هذا الإدراك الأولى للعفو من الإدراك الإسلامي الكامل الشامل الذي نجده مثلاً في قوله تعالى : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم . ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ؛ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور . » ، وفي قوله : « وقل لمبادئ يقولوا التي هي أحسن ؛ إن الشيطان ينزغ بينهم [أي حينما يناههم عذاب الكفار] إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبيناً . » ، ألا إن مرمى العفو الإسلامي هو أن تدفع بالتي هي أحسن السيئة ، « فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . » - هو أن تَبَرَّ وَتُقْسِطَ لا إلى المسلمين فحسب ، بل إلى غير المسلمين كذلك ، « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة . »

وآية نوح : ٢٦ - ٢٨ تقف بالعفو دون مرتبة العفو الإسلامي كما أمر به الله تعالى خاتم النبيين ، وصاحب أسمى ديانة أرسلت للعالمين : « وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ؛ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً . رب اغفر لي ، ولوالدي ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تباراً . » هذا دعاء سيدنا نوح عليه السلام يمثل مرحلة من مراحل إدراك العفو ، كما تمثل ديانته مرحلة من مراحل تطور الديانات ؛ ولكل مرحلة من هذه المراحل عصر وقرن من الناس أرسلت إليهم لتلائمهم .^(١) ثم أرسل الله تعالى خاتمة تعاليمه باسمي ما يصل إليه التسامح على لسان صفيه الكريم ، سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « ولا تزال تطلع على خاتمة منهم - إلا قليلاً منهم - فاعف عنهم واصفح ؛

(١) من المسلم به أن الله تعالى أرسل تعاليمه إلى البشر على السنة أنبيائه المكرمين ، وأمر كلامهم بما يلائم عصره وبيئته وما وصلت إليه البشرية في كل عصر من النمو الفكري والأخلاق بما يجعل دعوتها إلى الدين الجديد في حدود ما تستطيع إدراكه . فمن ذلك مثلاً أن اليهودية جاءت بالقصاص وحده ، والمسيحية بالعفو وحده ، ثم جاء الإسلام بالعقوبة والعفو جميعاً . والأمثلة على ذلك كثيرة يعرفها كل من اطلع على مقارنة الديانات . ولا شك أن الإسلام هو أحدث طبعة ، للديانات السماوية .

إن الله يحب المحسنين . . - و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . - فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفك الذين لا يوقنون . - فاصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجراً جميلاً . . ولقد أشرنا فيما سبق إلى ما طالب به الله تعالى نبينا الكريم من العفو والاستغفار لخصومه : « فاعف عنهم واستغفر لهم . - إذا جاء نصر الله والفتح ... فسيح بحمد ربك واستغفره » (١) ، ونريد أن نضيف إلى ذلك - مما يؤيد رأينا - قوله تعالى لنبية : « فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . القلم : ٤٨ ؛ قال النيسابوري في تفسيره (٢) : « قال بعض العلماء قوله كصاحب الحوت ، أى أنه كان فى ذلك الوقت مكظوما أى مملوءاً من الغيظ ، فكأنه قيل : لا تكن مكظوما ، أو لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة ؛ وقال جمع من المفسرين إن الآية نزلت بأحد حين حل بالمؤمنين ما حل ، فأراد أن يدعو على من انهزم . وقيل نزلت حين أراد أن يدعو على ثقيف . . ؛ وقال الطبري في تفسيره (٣) : « لا تعجل كما عجل ، ولا تغضب كما غضب . . ، فسماحة الإسلام فى العفو صريحة غير مسبقة .

١٢ - وبعد فقد عرضنا لما جاء به القرآن الكريم عن العفو من حيث الكيف والموضوع ، فإذا نظرنا إليه من حيث الكم ملك نفوسنا الإعجاب والروعة لكثرة الآيات التى نزلت فيه ، كثرة توقظ النفوس إلى ذلك المعنى السامى ، والمبدأ الخطير ، الذى يفعل مالا تفعل العقوبة ، والذى إذا أحسن استخدامه قام بما تقوم به العقوبة من غير أن يعقب من شرور العقوبة شراً ؛ فهو ينزع الآحن من القلوب ، ويستل السخائم من الصدور ، والله هو العفو الغفور .

محمد بن عبد الله

بجامعة منتسب

{ الحرم سنة ١٣٥٧ }
{ مارس سنة ١٩٣٨ }

(١) راجع ما جاء فى رقم ٩ (١)

(٢) تفسير غرائب القرآن ، ج ٢٩ ص ٢٤

(٣) جامع البيان ، ج ٢٩ ، ص ٢٩